أثر التقلبات الجغرافية التاريخية في مدينة نصيبين على الاتجاهات الدينية والعلمية

ايمان محمد كاظم جامعه فردوسي
Emantmime@gmail.com

المستخلص

هدف الباحثة من دراستها الموسومة أثر التقلبات الجغرافية والتاريخية في مدينة نصيبين على الاتجاهات الدينية والعلمية هو معرفة المؤثرات الفعلية الجغرافية التاريخية على اهل مدينة نصيبين التركية وأصل انتمائها السوري، وقد مرت في مراحل تاريخية بين الشدة والرخاء والعمران والدمار وقد تصارع عليها منذ القدم الاشوريون والكلدانيون الفرس والرومان والمسيحيون والمسلمون والمغول والعثمانيون الى ان وضعت الحرب العالمية الأولى اوزارها وأصبحت تابعة لولاية ماردين التركية بموجب اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣، ولا شك ان التقلبات السياسية بفعل الحروب اليت جرت على ارضها أدت الى نتائج في الابعاد والاتجاهات العلمية والثقافية والعمرانية والاقتصادية والتجارية بحكم موقعها الاستراتيجي كمحطة للقوافل بين المشرق والمغرب وتوسطها بلاد ما بين النهرين وقربها من القامشلي وكنقطة مواصلات وتواصل الى الشام والحجاز او الى أرمينيا واذربيجان وفارس. وقد شهدت ازدهارا عظيما في التاريخ في وصف المؤرخين، واكثر ما يميزها سهولها الخضراء الواسعة وبساتينها وكثرة اشجارها ومن ذلك تسميتها كما يرجح اهل اللغة ومراجع مصدر الكلمة، وتميزت بانهارها وعزوبة مياهها واسوارها وقلاعها وحصونها فضلا عما بناه المسيحيون فيها من الكنائس والاديرة والمدارس وام زالت الى يومنا آثارها ومآثر أبناء التاريخ في جغرافيتها التي تتبع الى ديار ربيعة.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في التعرف على محطات ازدهار المدينة لا سيما مراحل السيطرة الإسلامية عليها، وتوصلت الى نتائج منها ان المدينة تميزت بشهادة المؤرخين وعلماء اللغة والجغرافية والرحالة في أرضها الخصبة وغناها الزراعي وبساتينها وفاكهتها وأسواقها وكنائسها إضافة الى طبيعة أهلها في القوة ومواجهة الاحتلالات المتعاقبة عبر الزمان، وقد فتحت على ايدي المسلمين في سنة ٦٩٣ ميلادي موافق لها سنة ١٨ هجري وهي جزء من ديار ربيعة وضربت النقود فيها في زمن اليونانيين والرومان والامويين، وقد سيطرت عليها تباعا الأمم الإسلامية من الامويين والعباسيين الى المماليك والعثمانيين بحكم الموقع الاستراتيجي لها مع المحافظة على الحد الأدنى من طابعها المسيحي ودلالة الى انها كانت مركزا دينيا مهما لدى النصارى منذ القرن الأول الميلادي ومذهبها السريانية وتتبع الكنيسة الارثوذكسية الشرقية، وبالرغم من انحسار دورها الحضاري بفعل التطور في نظام المواصلات وانفصالها عن العمق السوري والقامشلي وضمها لولاية ماردين التركية الا انها تبقى شاهدا تاريخيا في جغرافيتها على القوة التي امتلكتها طيلة قرون من وجودها.

الكلمات المفتاحية : أثر، التقلبات الجغرافية، القلبات التاريخية، مدينة نصيبين، الاتجاهات الدينية والعلمية.

المطلب الأول : الإطار المنهجي

المقدمة: في المقدمة الجغرافية مدينة نصيبين بضم النون مدينة تركية في ولاية أو محافظة ماردين مساحتها ٨٢٥ كيلومتر مربع وترتفع عن سطح البحر ٤٧١ مترا، يتجاوز عدد سكانها ١٠٥ الاف نسمة من الغالبية الكردية وتشكل الكثافة السكانية ١٢٨ نسمة في مساحة كلم٢ الواحد، بشكل أهل الحضر نسبة تزيد عن ٩٠٪ من اجمالي السكان في أن الريف يرزح تحت نير الهجرة ولا يشكل من بقي فيه أكثر من ١٠٪ من السكان نصيبين، تقع مدينة نصيبين على مسافة لا تزيد من ٣٥ كلم شرق مدينة غازي عنتاب ضمن الأقاليم السورية الشمالية المقتطعة من الدولة السورية والملحقة بتركيا الحديثة بموجب معاهدة لوزان الموقعة سنة ١٩٢٣ بعد الحرب العالمية الأولى وتقسيم ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، كما تبعد ٢٣ كلم عن مدينة جرابلس وتتوسط الطريق بين محافظتي عنتاب واورفا شرقا كما يحدها غربا مدينة أوغزلي وجنوبا قرقماش(السبعاوي، ٢٠٢٣، ١٤٣-١٤٥).

ويفصل المدينة التركية عن القامشلي المدينة الكردية السورية الكبرى الحدود بين الدولتين، وهي في اسفل جبال كاشياري على نهر متفرع من الخابور في الشمال الشرقي لبلاد الرافدين وتنسب البلاد الى موسى النبي عليه السلام، ويجد بعض الجغرافيين الى انها مدينة آرامية تحسن موقعها الجغرافي بفعل قوافل التجار بين بلاد آشور وبلاد فارس وصولا الى البحر الأبيض المتوسط، ويربطها بالدولة السورية معبر في اقصى الجنوب الغربي بعيدا من مدينة يايلاداغي التركية حوالي ٣ كلم عند درجة ٣٥,٩٠٥ شمالا ودرجة ٣٥,٠١٠ شرقا وعند خط عرض ٣٥٨٠٨ شمالا و٣٦,١٤٢ شرقا على بعد ٢ كلم من قرية بيسون وهي خالية من السكان في منطقة هاتاي.

وفي التمهيد التاريخي تعدّ نصيبين مدينة قديمة ترجع الى الالف الثاني قبل الميلاد وتصنف كمركز تجاري ويميل المؤرخون الى الاعتقاد أن قبيلة بيت تمناي الآرامية قد سكنتها في تلك المرحلة كما يتبين من آثارها وجود النصارى الذين بنوا ديرا عرف باسم دير مار يعقوب كشفيع لسكانها ولقداسة الضريح التابع للابرشية السريانية في مدينة طور عبدين وتضم في مكوناتها الحضارية متحفا يحوي آثار من سكنها تاريخيا وتعاقب على الإقامة فيها، ونظرا لموقعها بين نهري دجلة والفرات ومجاورتها القامشلي المدينة العاصمة للاكراد السورية فانها وصفت بمعلم سياحي مهم في الجنوب الشرقي التركي.

قد تكون نصيبين كلمة سريانية يقصد بها الشجيرات المزروعة على صفتي نهير جقجق بين النهرين الكبيرين وتعني بالعربية الغرسات المنصوبة او النصبات وهي مفردة متداولة في بلاد الشام والساحل اللبناني، ويميل المؤرخون الى ان القديس مار يعقوب النصيبي عاش ودفن في ديرها عام ٣٢٥ ميلادي وهو معلم لشفيع الطائفة السريانية مار افرام المتوفي سنة ٢٧٢ ميلادي وشيد فيها ديرا كبيرا ما زالت آثاره الى يومنا هذا واضحة المعالم ويقصده السياح والسريان ويتبع الى الكنيسة السريانية الارثوذكسية، وعاش فيها أيضا القس النصراني الاسقف الياس النصيبي عاش فيها في القرن العاشر ميلادي وله كتاب المجالس وفيه دعوة الى توحيد المسيحية وله حوارات مع الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي في العام ٩٨١ ميلادي وله معرفة واسعة بالقرآن الكريم، ولنصيبين مكانة علمية تدرس في ديرها الفلسفة واللاهوتية

والطب والرياضيات والآداب والتاريخ والجغرافيا واللغات السريانية واليونانية(موسوعة الإسلام باللغة الإنكليزية، ٢٠٠٠ ، ٩٨٣).

ورد اسم مدينة نصيبين اما من اليونانيين او السريان وهي مشتقة من الزرع ونصب الأشجار وربما سميت كذلك لما فيها من البساتين والأشجار والجنان، وذكرت في الاسفار الإلهية والكتب المقدسة عند بعض مذاهب النصرانية وفقا لما يلي:

أ-في سفر الملوك الأول(١١-١٣-١٤) "وأثار الرب خصما آخر لسليمان هو رزون بن اليدع وكان هرب من عند مولاه هددغزر ملك صوبه فجمع اليه رجالا وصار رئيس غزاة عندما كان داوود يدمر صوبه" (بيكو لفسكايا، ١٩٩٩، ١٠٠)

ب-في سفر صموئيل الثاني(٨-٣-٥)" وتغلب داوود على هددغرز بن رحوب ملك صوبه الذي ذهب يسترد سلطته على نهر الفرات واخذ منه ١٧٠٠فارس و٢٠ الفا من المشاة وقطع مفاصل ارجل خيل جميع المركبات وابقى منها ما يكفي لمئة مركبة فجاء الآراميون من دمشق لنجدة هددغرز ملك صوبه"(المصدر نفسه، ١٣٣).

ج-ذكرها مار افرام السرياني بانها مذكورة في سفر التكوين.

د-وجود حجر ابوسيوس ونقش عليه عبارات مسيحية سنة ٢٠٠ ميلادي وارتبطت بمار توما ومار ادي في حدياب.

ه-وجود كنيسة الشهيدة فيرونكا المسيحية بالرغم من انها تحولت الى مسجد باسم زين العابدين(عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية. طرابلس: دار جروس برس،١٩٩١ ، ٨٤٩).

وقد يكون الامتداد للمدينة عبر التاريخ له دلالات الى القيمة المعنوية والجغرافية مما أعطاها زخما في العمق التاريخي اذ يؤشر وجود لوحة مسمارية موجودة في احد المتاحف البريطانية في لندن منقوش عليها موقعها وحديث عن الحروب بين الاشوريين والماديين في سنة ٦١٢ قبل الميلاد، الى ان هذه المدينة كانت ذا شان عظيم واشتقاق اسمها من الغلات والنصو بمعنى النصب والزرع الى ان الامتداد الغذائي لبلاد الشام وصولا الى الاناضول والشرق الأوروبي قد كان يعتمد على سهولها الخصبة او ان موقعها الجغرافي كصلة وصل ومحطة قوافل ومركز تجاري بين المناطق والعمق الشرقي الى أرمينيا وآذربيجان او الى البصرة والحجاز او الى الاهواز والهند وباكستان والحروب عليها امتدت الى ما بعد الخلافة العباسية في القرن السابع الميلادي، وقد يكون في أصل وجودها ما تميزت به من بساتين وجنائن خضراء(شمعون، ٢٠٠٥ ، ٣٢-٤٥).

وفي مطلق الأحوال هي مدينة لها تاريخها وذاع صيتها في أوروبا وافريقيا واشتهر منها العلماء في خدمة الدين والانسان ومن مسمياتها المدينة ام العلوم ومدينة المعارف وام المعلمين ومدينة الحدود (بين حدود مملكتي الفرس والرومان قديما) وتسمى أيضا ترس المدن المحصنة ورئيسة ما بين النهرين ورئيسة المغرب ولها تسميات أخرى مثل مدينة انتيوك مكدونيا وفي سجلات الرومان لها اسم نيزيبي واسم نيسيبي بعد استيلائهم عليها، ومن تسمساتها بعد ان استولى عليها الارمنيون ارفاستان سنة ٣٧ ميلادي وسميت في فترة من الزمن طور عابدين والجزيرة كما شاع اسمها صوبا في العهود السريانية والفارسية (ساكو،٢٠١٠، ٨٢).

وهي بارتباطها بطريق يصل الى الرها وحدياب او أربيل العراقية الى أرمينيا وسنجار شرقا والحضر جنوب شرق والى ميسان وصولا الى الخليج الفارسي والهند جنوبا او الى دمشق وتدمر جنوبا ومنها يمكن الدخول الى طريق فلسطين حيث جعلها هذا موقعا تجاريا واقتصاديا

حيويا، ومؤشرات السرديات التاريخية تشير الى انها كانت عاصمة المملكة في زمننيقاطور سلوقس الأول سنة ٣٨٠ قبل الميلاد ودليل قيمتها التاريخي أن تنازع عليها الرومان وحولها ديوقليانس سنة ٣٠٥ قبل الميلاد الى قلعة مشرقية حصينة ومقر قيادة بلاد ما بين النهرين.

١-مشكلة البحث: مدينة نصيبين التركية مدينة عريقة في التاريخ نسبة الى موقعها بين العراق وتركيا وسوريا أعطيت أهمية سياسية كبيرة ومحور استقطاب في الحروب الرومانية البيزنطية الفارسية، أسسها وفق المؤرخين نمرود الجبار كمحطة للقوافل ونتاجها من الزراعة وما فيها من أنواع البساتين، استولى عليها الاشوريون بقيادة الملك اددنيراري واتبعها الى مملكته في العراق بعد ان كانت تحت سيطرة الملك نورادد الارامي شيخ قبيلة بيت تمناي في سنة ٩٠١ قبل الميلاد بعد قتال عنيف ودمار كبير وقتل وأسر حاميتها، ثم تتابع عليها ملوك الاشوريين الاخرين مثل الملك توكولتي ننورتا وشمها الى ولاية آمادو(ساكو، المطران لويس. بغداد، مجلة نجم المشرق، العدد ٦٢(2010))، واستولى عليها البابليون سنة ٦١٢ قبل الميلاد في معركة مع الاشوريين بقيادة والد نبوخذ نصرمن خلال كتابات محفوظة في احد متاحف المملكة المتحدة منحوت على الطين باللغة الاكادية الاشورية (Bryce,.2009.p513-514).

ومع انتشار المسيحية في القرن الثاني للميلاد في بلاد الشام وصولا الى تركيا والاناضول وانطاكيا استولى سبتميوس سيفيروس الروماني وجعل منها مركز ولاية سبتميا الرومانية (بيكو لفسكايا، نينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد. دمشق.١٩٩١.ص ١٠٩)، أنشأت في نصيبين اول مدرسة لاهوتية في دير مار يعقوب ودرسوا فيه أنواع العلوم اللاهوتية والطب والزراعة، ثم تحول الى جامعة لاهوتية تدرس باللغة السريانية وتطورت مناهجها الدراسية في سنة ٤٩١ ميلادي (عبودي، ١٩٩١، ٨٤٩).

وقعت المدينة على مر التاريخ في مشكلات جغرافيا وتاريخية نظرا لاستراتيجية الموقع والاهمية الديموغرافية لا سيما بعد سقوط الدولتين الاموية والعباسية والبعد الكردي في الجبال المحيطة بها، لا سيما في الحقبة بين القرن السابع والقرن العاشر الهجري، وبحكم شكل الصراع السياسي والعسكري على مدينة نصيبين دفع الباحثة الى دراسة القيمة التاريخية والجغرافية لهذه المدينة والتعرف الى خصوصياتها من خلال موقعها الجغرافي عبر التاريخ محاولة الاضاءة على الجانب العلمي والاجتماعي والديني والتاريخي والجغرافي لهذه المدينة، وطرحت التساؤل ماهية مدينة نصيبين ما بين القرن السابع إلى العاشر ميلادي من الناحية الجغرافية والتاريخية؟

٢-فرضيات البحث: تمتعت مدينة نصيبين عبر التاريخ بحكم موقعها الجغرافي الى ميزات جعلت منها محور استقطاب ومحاولات سيطرة على مقدراتها ونتج من ذلك وقوع المدينة بين ازدهار ودمار تبعا لانتمائها الديني وثرواتها الزراعية وكونها محور طرق المواصلات في الانتقال بين المناطق والدول المجاورة لها.

٣-أهداف البحث: تهدف الباحثة الى الكشف عن:

أ-القيمة التاريخية لمدينة نصيبين .

ب-القيمة الجغرافية لموقع مدينة نصيبين.

ج-الثروات الدينية والمعرفية والثقافية والزراعية للمدينة.

د-الصراعات والحروب لاجل السيطرة على المدينة تاريخيا.

٤-أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في معرفة:

أ-أهمية المدينة جغرافيا وتاريخيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا على مر التاريخ ولا سيما في الحقبة ما بين القرن السابع والعاشر هجري.
ب- موقع المدينة الثقافي تاريخيا ووجود الصروح والمؤسسات العلمية فيها.
ج-دلالات ذكر المؤرخين لها والاسهاب في الحديث عن مآثرها العلمية والتاريخية والجغرافية.
د-أسباب هجرة أهلها منها بعد الحرب العالمية الأولى وخلال السيطرة العثمانية عليها.

المطلب الثاني: مدينة نصيبين بين التاريخ والجغرافيا

أولا: قراءة في جغرافيا نصيبين من منظور الرحالة وعلماء التاريخ: ويجد المطران اديشير انها مذكورة في سفر التكوين في العهد القديم دلالة الى تاريخيتها الدينية وقيمتها لدى النصارى المشرقيين وقال مار افرام النصيبي احد علمائها انها أكاد المذكورة في السفر التكوين(اديشير، ٣) ويطلق عليها أهلها اسم صوبا مشتقة من نصو وغلات ومعنى ذلك النصب والزرع دلالة الى كثرة بساتينها وجودة انتاجها، وهي في العمق التاريخي تعود الى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد من زمن السومريين، واسمها لدى الاشوريين تريو في زمن حمورابي لسنة ١٧٥٠ قبل الميلاد بعد ان سيطر عليها محققا الوحدة لبلاد ما بين النهرين وتسمى لدى الاشوريين آراميس ومعناها البستان وتسمى نابولا لدى بعض اليونانيين ومنهم من سماها انطاكيا المقدونية وجعلوا فيها مركزا لسك النقود وحققت ازدهارا اقتصاديا في زمانهم واطلقوا عليها أيضا اسم انتيموسيا أي مدينة الزهور وسموا نهرها الكبير لميكدونيوس، وعند الرومان هي الجزيرة العليا او ميزوبوتاميا ومعناها مدينة بين النهرين، وحكمها الأرمن بعد الميلاد بقيادة اردوس الذي تولاها بأمر الملك ديكران الكبير ابن ملك ارمينا الأول لسنة ٥٤ قبل الميلاد، وبعد هزيمة الأرمن على ايدي الرومان سنة ٦٩ قبل الميلاد جعلوا نصيبين قلعة مشرقية محصنة ومقرا لقيادتهم المشرقية في بلاد ما بين النهرين وجعلوها عاصمة ديار ربيعة بن نزار الممتدة من الموصل الى راس العين شمالي ما بين النهرين، ثم جعل منها الملك الروماني ديوقلسيانس سنة ٢٩٧ ميلادي قلعته الحصينة (يوسف، ج١، ٢٦٨)، وهي الحد الفاصل بين الروم والفرس عبر التاريخ، وسميت لذلك مدينة الحدود ومدينة التخوم وجعلوها بوابة مرور القوافل بين المشرق الى المغرب(الشماس نوري، ٢٠١٠، ٣١).

وقد ذكرها الرحالة الاندلسي ابن جبير في رحلته في القرن السادس هجري في وصفه لجمال موقعها وطبيعتها الجغرافية وذكر فيها شعر الحسن ابن هانئ ابي نواس، وقد أفاض وأجاد في الوصف حتى وكأنها روضة من الجنة فيقول" ... شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر يمتد خلفها وامامها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه وتطرد في نواحيه وتحف بها بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار ينساب بين يديها نهر انعطف عليها انعطاف السوار... وخارجها رياضي الشمائل اندلسي الخمائل يرف غضارة ويتآلف حضارة...-ثم يصف شوارعها ومنبع نهرها وجسورها وقمم جبالها ويصل الى مسجدها فيوصف تقسيمه وصحنه، ويذكر مدارسها ورجالها ويمجّد اولياءها ومنهم الشيخ أبو اليقظان ويقول فيه" احد الاولياء الذين نور الله بصائرهم بالايمان وجعلهم من الباقيات الصالحات"، وتتساءل الباحثة كيف علم الرحالة الاندلسي بأنّ هذا الولي الصالح هو من أنوار الله ولديه البصيرة في العلم والزهد والتقوى أم لأنه اشتهر بعدائه لفئة من المسلمين او لاعتكافه في المسجد، فالتوصيف لظاهر العين في جمال الطبيعة أمر مقبول بالنسبية بين الانسان والأخر اما في توصيف ايمان الشخص وقد قال فيه اسود الجسد وابيض الكبد وهذا له دلالاته في علم

الرحالة، وخاصة انه شكر الله وحمده بمنّه في رؤيته وتشريفه بمصافحته والمنفعة في دعائه، كما وصف خانها وطريقه في رحلته مستخدمين الجمال والبغال والحمير ويواكبهم في سفرهم الحرانيون والحلبيون، ولكن ما يشد النظر في سرديته قوله" ...ونحن على أهبة وحذر من اغارة الاكراد الذين هم آفة الجهات يقطعون السبيل ويسعون في الأرض فسادا.." فدعوته الله سلاطين الأرض ليقمعوهم ويكف عاديتهم كما اكمل دعواه في قوله" ..لا دافع الله لهم ولا مانع الا الله" (ابن جبير، ٢٠٠٠، ص ٢١٤-٢١٥)، ومؤشر ذلك انه اذا كان الرحالة ابن جبير وهو من الاندلس قد دعا بهذا القدر على سكان الجبال من الاكراد واعتبرهم شذاذ الافاق والغدر والقتل والفساد ادبهم، وبالتالي مؤشر الى ان الفكر الاموي الذي كان يسود في تلك المناطق في العداء المطلق لكل من لم يواليهم.

اما المؤرخ قسطنطين شمعون فقد ذكرها في العمق الجغرافي وكأنها بركان شغل البلاد والعباد ثم خمد وخفت ويبرر ذلك بافعال المسلمين الأقرب الى الفوضى والضياع بعد ان كانت تعج بالحب والحياة، مقاربته وان كانت قريبة من الواقع الا انّ ما يشوبها الحيادية في التحليل للأسباب التي أدت الى ضياع هذه المدينة وذهاب حضارتها في تلك البقعة بين سوريا والعراق وتركيا وتحت رحمة رجالات الجبال من الاكراد الذين كرهوا فيها هذه الحياة فنصبوا الكمائن لزوراها عبر الأجيال أهو حقد ام حسد ام قلة تدبير من أربابها، واذا وصفها بانها كانت قبل القرن السابع من الهجرة نجما ساطعا في أعالي السماء تراه وتكتب عنه كل الشعوب، وقد شغلتها القوى الكبرى العالمية الرومانية والبيزنطية والفارسية ولاحقا العربية التي أدت الى خرابها وضيق حالها(شمعون، ٢٠٠٥، ٦٥).

وذكرها كبيرها الاسقفي مار ميخائيل السرياني وفق سرديات الكنيسة المشرقية، بنها ذات عمق مهم اقتصاديا وجغرافيا وتجاريا في ثرواتها الطبيعية وموقعها الجغرافي ودليل ذلك وجود بعض من الاثار التاريخية المهمة في الطريق بين القامشلي ونصيبين، وفي سفح جبل ايزلا والامتدادات السهلية لجبال طوروس من جنوب تركيا، الا أن الحروب المتتالية بين الرومان والفرس جعلت كل بناء في حال خراب، وان التحول في الأوضاع مرده الى التحول في العقيدة باجتماع الروم حول العقيدة المسيحية، وقد ساوم سابور ابن ازدشير الامبراطور الفارسي الروم على نصيبين كتعويض في مفاوضات الصلح بعد ان تكبد هؤلاء خسائر كبيرة جدا، ورضي الفرس بمدينة نصيبين وشردوا الروم منها الى آمد والرها ونقلوا اليها اكثر من ١٢ الف بيت من بلاد فارس لاعادة التموضع الديموغرافي فيها، ومن الذين هاجروا مار افرام السرياني الذي عاد اليها في العام ٣٧٢ ميلادي مع عدد من الرعية واقام فيها ناسكا ومعلما ومؤلفا شاعرا وشارحا الكتاب المقدس، وأعاد تنظيم وإدارة وافتتاح مدرستها ودعم اساتذتها في محاولة تثبيتهم بالرغم من انها اشتهرت باسم مدرسة الفرس كونها كانت تحت سيطرتهم لفترة من الزمن.

وفي القيمة الجغرافية لمدينة نصيبين التركية من كونها موقع المدينة في الجنوب الشرقي من الدولة التركية وتضم بين مساحتها مواقع أثرية لها دلالاتها التاريخية من الاديرة والكنائس وبالرغم من ارتياد السياح والدينيين المسيحيين لها من اتباع الكنيسة السريانية الارثوذكسية الا انها تصنف أثرا مهملة بالرغم من أهميتها وما تحويه من كنوز معرفية ضخمة، وتعرضت الى التهجير القسري في اعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥، ومن ثم الحقت بالدولة التركية في عام ١٩٢٣ بموجب معاهدة لوزان، كما سبق وأشارت الباحثة الى ذلك، وبينها وبين القامشلي معبر نصيبين الحدودي وهو واحد من اهم المعابر التي تربط بين تركيا وسوريا وله

من الأهمية كونه قريب من الحدود العراقية ويمكن منه تمر الكثير من الروابط التجارية، إضافة الى الرابط البري مع سوريا يمكن السائح الأجنبي ان يقصدها جوا عبر مطار ماردين التركي او من محطة الركاب في دياربكر ومنها الى ماردين وبالسيارة يمكن الوصول الى نصيبين.

وفي منظور الزبيدي صاحب تاج العروس نصيبين بلد عامرة، وقد أعطاها صفة البلد متجاوزا بذلك حدود المدينة ليجد ان نصيبين اكثر من منطقة محددة في جغرافية ضيقة انما هي بلد يمتد الى الموصل في العراق ويقول من بلاد الجزيرة وهو بذلك يقسم منقطة الجزيرة الفراتية الى مجموعة بلاد دلالة الى مكانتها التاريخية والجغرافية في التاريخ وفي الجغرافيا كرابط بين الموصل الى الشام وقريبة من سنجار على تسعة من الفراسخ وفيها سور ووفرة من الماء، الا ان ما أشار اليه الزبيدي هو انها أي نصيبين من ديار ربيعة التي تضم ديار بكر إضافة الى ديار مضر القبائل العربية التي استوطنت هذه الجزيرة الفراتية(الزبيدي، ٢٠٠٤، ٤٣٦).

ومن منظور ابن منظور صاحب لسان العرب ومنظور الجوهري في الصحاح ومنظور الفيروز آبادي في القاموس المحيط: فقال ان نصيبين اسم بلد ومنهم من يجعله اسما يلزم اعرابه ومنهم من يجريه في الجمع كأن نقول مررت بنصيبين او رايت نصيبين(ابن منظور، ج٦، ١٩٩٤، ٧٦٢، الجوهري، ١٩٩٣، ٢٢٥، الفيروز آبادي ، ١٩٨٠، ١٧٧)، ومن منظور الشرتوني صاحب اقرب الموارد قوله انها بلد عظيم، ويبرر صفة العظمة لما فيه من الأنهار والبساتين الكثيرة والخير الوفير في صفة الجنات والجمع لجنة دليل ما فيها من الخيرات وهي قاعدة ديار ربيعة وهو يشارك صاحب العروس في ذلك وكرر رأي ابن منظور والجوهري في اصل الاسم ودلالاته(الشرتوني، ١٤١٦ه، ج٥، ٤١٢).

ومن منظور المدني صاحب كتاب الطراز الأول ان نصيبين بلد من بلاد الجزيرة الفراتية وتبعد ٦ أيام من الموصل وفي قراها ٤٠ الف بستان وهي في شاطئ الفرات تعرف بنصيبين الروم(المدني ، ١٤١٥ه ق، ج٣، ١٠٢)، وورد في تفسير الطبرسي ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليلة اختفائه روى انه التقى بسبعة نفر من جن نصيبين فآمنوا به وأرسلهم الى سائر الجن(الطبرسي ، ٢٠٠٦، ج١٠، ٥٥٥) ومن منظور الحموي صاحب معجم البلدان وفي هذا كلام آخر انّ الرسول في ليلة الاسراء رأى مدينة أعجبته فسأل جبرائيل عنها فقال له اسمها نصيبين فدعا عليه الصلاة والسلام" اللهم عجل فتحها واجعل فيها بركة للمسلمين..." وهي مدينة على شاطئ الفرات الكبير تعرف باسم نصيبين الروم وقاصد حرّان يمر بها وعليها سور بناه الروم وأتمه أنوشروان بعد فتحه لها عنوة بعد رميها بمنجنيق من العقارب ولها منسوب عقارب نصيبين وهو منقول عن السرخسي(الحموي، ١٩٨٨، ج٥، ٢٨٩).

وقد فتحت المدينة بأمر من سعد ابن ابي وقاص عام ١٧ هجري تحت راية عياض ابن غنم وهو عامل معاوية في زمن عثمان ابن عفان، وقيل في روايات أخرى ان أبو عبيدة ابن الجراح وتقدم عليه من دجلة عبد الله ابن عتبان الى الموصل عبر بلد ووصل الى المدينة وتفاوض مع أهلها على الجزية مكرهين، وفيها بعد الإسلام مشاهير من العلماء ومنهم الحسن ابن علي ابن الوثاق ابن الصلب ابن أبان ابن زريق ابن إبراهيم ابن عبد الله أبو القاسم الحافظ النصيبي محدثا وراويا(الحموي، ١٩٨٧، ج٥، ٢٨٨)، ومن منظور الحميري صاحب الروض المعطار انها في ديار ربيعة العظمى وصفة العظمة دلالة الى ما فيها من كثرة الأنهار والبساتين والجنات ونهرها العظيم الهرماس بقناطره الحجرية وهال هذه المدينة هم من ربيعة من بني تغلب، ويتفق القلقشندي مع الحموي انها فتحت على يد عياض ابن الغنم عامل الخليفة عمر ابن الخطاب

وكانت على مذهب الروم في الدين والتبعية السياسية وقد نقل اليها ابن الغياض اعدادا من المسلمين لايجاد توازن ديموغرافي جديد(القلقشندي، ١٩٧٧، ٢٧٠)، ولم يزد ابن زكريا شيئا في ذلك(ابن زكريا، ٢٠٠١، ج٥، ٤٣٤).

وقفي سياق الفتح الإسلامي للمدينة فقد سيطر عليها المسلمون سنة ٦٤٠ للميلاد، وحكمت من الحمدانيين التغلبيين الذين جعلوا ماردين قاعدة قوتهم سنة ٨٩٢ ميلادي، واحتلها الفاطميون سنة ٩٩١ ميلادي ثم سقطت في يد صلاح الدين الايوبي في أوائل القرن التاسع ميلادي وروي ان ذلك في سنة ١١٨٧ ميلادي الى حين سقوطها بايدي المماليك سنة ١١٩٣ ميلادي، ومن ثم وقعت في سيطرة المغول على يد تيمورلنك سنة ١٣٩٥ ميلادي وشهدت ازدهارا في عهد المغول الى حين احتلالها من قبل العثمانيين سنة ١٥١٥ ميلادي، واقتطعت من ولاية سوريا وضمت الى تركيا بقيادة مؤسسها مصطفى كمال اتاتورك في اتفاقية لوزان بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٣، وفي العصر الحالي تعتبر مدينة نصيبين قائمقامية تابعة لولاية ماردين في تركيا.

ويضيف صاحب المراصد في مدينة نصيبين جامع كبير حسن العمارة لم يذكر من بناه-.. والخراب بها كثير، دلالة ان المدينة تعرضت لدمار بفعل الحروب للسيطرة عليها فمن الذي كان يقاوم هل هي حاميتها او أهلها؟(البغدادي صفي الدين، ١٩٩٧، ج٣، ١٣٧٤)، وقد روي ذلك حميد الله في المعالم وانها ذكرت في قصة سلمان الفارسي عليه رضوان الله(حميد الله ، ٢٠٠٤، ٢٨٨)، وذكر في المعجم انها كورة من كور ديار ربيعة وكلها بين الحيرة والشام(البكري، ١٩٩٦،ج٤، ١٣١٠)، وذكر في حدود العالم انها اكثر المدن نزاهة في الجزيرة الفراتية عامرة غاصة في السكان وفي بنيانها تنتشر أديرة للمسيحيين ومن احجارها صناعة الزجاج وفيها قلعة مليئة باصناف الافاعي(مؤلف فارسي مجهول، ١٩٨٧، ١٦٢)، وأضاف العزيزي في المسالك ان بها عقارب قاتلة(العزيزي، ٢٠٠٦، ١١٢).

وقد افاض القزويني في الاثار كلامه عن نصيبين مكررا ما ورد من وصفها ..ظاهرها في غاية النزاهة وباطنها يضاد ظاهرها.. وباطنها منهم في لظى وظاهرها من جنان النعيم.. ودلالة قوله ما جرى للحروب فيها واحتلالها من دمار وخراب على مر العصور والقرون وقد فتحها انو شروان بعدما أصاب أهلها من سموم العقارب وعجزهم من القتال وان معاوية اشتكى له عاملها من كثرة لدغات عقاربها فأمر رجاله فيها بقتل العقارب بدل قتال الناس حتى قضى على كثير منها، وذكر رؤية الرسول فيها ليلة الاسراء، ولكنه أشار الى ميزة تجارها في الظلم وقول شاعر(القزويني، ١٩٩٧، ٤٦٧):

نصيب نصيبين من ربها ولاية كل ظلوم غشوم

ثانيا: قراءة في ديموغرافية نصيبين الدينية التاريخية: تعود الجذور المسيحية في نصيبين الى ما قبل العام ٢٠٠ ميلادي بوجود الحجر ابرسيوس الشاهد وارتباط بداية الوجود المسيحي بالقديس مار توما الرسول والرسول مار ماري، وقد أرّخ برشينايا إيليا ان مار يعقوب هو الذي بنى كنيسة نصيبين على مدى سبع سنين وتعتبر واحدة من اكبر ثلاث ابرشيات نصرانية في المشرق وهي سنجار وبيت زبدي إضافة الى كنائس وأديرة في جلسونة وبلد وجزيرة ابن عمر ويوحنا النحلى وفنحاس ويونان واسحق والكمولى ويوجنا المصري وآحا، ويفترض في المعزوفة الجغرافيا قبل الحرب العالمية الأولى ان نصيبين تابعة لولاية سوريا الا انه جرى ضمها الى تركيا مثل لواء الاسكندرون على البحر الأبيض المتوسط دلالة الى الأهمية الجغرافيا

والاستراتيجية لهذه المدينة عبر التاريخ، اذ شهدت أم المعارك بين الرومان والفرس للسيطرة عليها.

سيطر المسلمون على ديار الجزيرة الفراتية ومنطقة نصيبين ومدينتها في القرن السابع الميلادي، واصبح الإسلام القوة الرئيسة الثالثة بعد الرومان والفرس وعين الخليفة عماله عليها، وتحولت الى مركز للتمرد على الخلافة ونقطة انطلاق لمن يودّ الاستقلال وانشاء امارة مستقلة، وتبعا لذلك انطلقت منها عدة ثورات اما لدافع الاستقلالية واما لاعتبارها ملجأ للمتمردين من ملاحقة اتباع الخلافة، ونتج من ذلك تغيير نظام الحكم فيها عدة مرات بالرغم من بقاء أهلها الأصليين على دين النصرانية ودفعوا الجزية في زمن الخليفة عمر ابن الخطاب مرغمين، وقد حاول بعض ولاتها هدم قلاعها وحصونها خشية وقوع تمرد فيها وبقي بعض من هذه الآثار الى يومنا هذا شهادة الى تاريخ المدينة العريق قبل الإسلام(قسطنطين، ٢٠٠٥، ٥٢).

ومن حواضرها تاريخها الديني النصراني ووجود الاديرة والكنائس فيها ومؤسساتها الأبرشية في التصنيف المسيحي، ولم يكن التاريخ ليغفل الوجود النصراني فيها الذي أبيد بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى اهميتها التجارية والاقتصادية والزراعية ومحطة القوافل فيها، جدد بناءها سلقوس الأول نيقاطور سنة ٢٨٠ قبل الميلاد جاعلا منها عاصة مملكته الوطنية (الشماس نوري، ٢٠١٠، ٣٤).

وانتشرت المسيحية في بقاع منطقة نصيبين واستتبع ذلك بناء الاديرة والكنائس في ربوعها بالتزامن مع بناء الصروح العلمية والمدارس فأطلق عليها مدينة ام العلوم ومدينة المعارف وام الملافنة (اديشير، تاريخ كلدو وآثور، ج٢، ٤١)، ونظرا لجمال طبيعتها أطلق عليها اسم البحيرة البطيئة المياه وهو معنى لاسمها باللغة الأرمنية وذكرها الشاعر الحلي سيف الدين ويميل الاعتقاد الى ان الوادي الفاصل بين القامشلي ونصيبين هو البحيرة المرجح جفافها، كما ان وجود وادي اسمه بونصرا قد يكون ماخوذا من اسم الملك نبوخذنصر وقد كان يجمع فيه سبايا اليهود، ويضيف ابن حوقل انها معروفة الفرسان مشهورة الشجعان فيها ديارات للنصارى وبيع وقلايات(ابن حوقل، صورة الأرض، ١٩١)، وهذه الشجاعة لدى أبنائها وفرسانها هي التي جعلتها عصية على مدى التاريخ ويبرر ذلك الهجمات المتتالية عليها وكثرة الخراب في ديارها ويؤكد ابن بطوطة ذلك بقوله مدينة عتيقة متوسطة قد خرب اكثرها... الا ان المفارقة مناقضته قول القزويني في أهلها بقوله وأهلها اهل صلاح ودين وصدق وامانة(ابن بطوطة، ٢٣٠)، فمن من المؤرخين أصدق؟.

ثالثا: القيمة التاريخية العلمية لمدينة نصيبين: تعدّ المدينة منارة علمية في التاريخ بالرغم من حروبها ومعارك احتلالها من الامم الغابرة، وقد ذكرها المؤرخون تكرار ما ورد بينهم وبعضهم زاد من العلم قليلا على ما ذكر منهم، ومن هؤلاء ابن كثير في كتابه تعريف الأماكن في البداية والنهاية، واليعقوبي في كتابه البلدان والكرخي والمقدسي وابن الوردي والحربي في معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ومنهم مادحا لروعة رياضها وخيراتها ومنهم ذامّا لاهلها مثل صفي الدين عبد المؤمن في كتابه مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.

صاحب المنجد في الاعلام فوجد انها منذ القرن الثالث الميلادي وهي تعج بالعلم والمعرفة وتعدّ مهد الاداب السريانية لحين سقوطها بيد الساسانيين عام ٣٦٥ ميلادي، وفيها مدرسة نسطورية ومن رجالاتها برصوما ونرساي(معلوف، ٢٠٠٢، ٧١٠)، وبفعل التحولات الدينية فيها من المسيحية الى الإسلام ما يؤكد تحول كنيسة القديسة فبرونيا الى مسجد ما ورد في كلام المقدسي

عن جامعها الذي يتوسط المدينة في القرن الرابع هجري(المقدسي ، ١٩٩٩، ٤٠٢)، كما يشير الرحالة السائح الدنماركي نيبوهار خلال رحلته الى المشرق عام ١٧٦٦ في وصفه لمدينة نصيبين وجود بقايا كنيسة مار يعقوب النصيبي، وشاركه الرحالة والشاعر والمؤلف المسرحي الايرلندي الانكليزي أوليفر غولد سميث في رحلته الى نصيبين عام ١٧٩٩ ويشير الى وجود قوس نصر روماني دلالة سيطرة الرومان عليها حقبة من الزمن ووجود معابد بعض منها فيه دهاليز تحتوي قبور منها له غطاء من المرمر الأبيض إضافة الى آثار تدل على ميدان سباق الخيل(مؤلف تركي، ٢٠٠١، ٤٦)، وأكثر ما هو غرابة في اهل نصيبين ما ذكره الرحالة البريطاني جورج بادجر في رحلته في منتصف القرن التاسع عشر في وصف تقاليد السكان المسلمين بزيارة ضريح القديس يعقوب النصيبني لنيل البركات قبل زيارتهم مقام الامام زين العابدين والصلاة في جامعه(فييه ، ٢٠١٣، ١١٩).

وما يشير الى بداية النصرانية فيها على يد مار أيدي الرسول الذي بشّر فيها وما جوارها من البلاد وصولا الى آشور وأرزن والرها، وقد دفن في كنيستها، وأصبحت المدينة عاصمة المسيحيين في المشرق الداخلي وبلاد الجزيرة وانتشر الايمان بالمسيحية في كثرة بين الجمهور منذ القرن الأول الميلادي(سليمان ، ٢٠٢٢، ٤٢٨)، ودليل الوجود المسيحي فيها وارتدادته العلمية والدينية وجود حجر ابرسيوس سنة ٢٠٠ للميلاد المنقوش عليه مدونات الاسقف افيرسيوس من منطقة هيرابوليس في فيريجية الوسطى، والحجر موجود في متحف اللاتران روما وانه كيفما رحل في هذه المناطق وجد اخوة له ويقصد مسيحيين، ومثل ذلك ما أشار اليه احد كهنة نصيبين إيليا برشينايا في مذكراته التاريخية انه رتب اسمه في سفر الاحياء والاموات سنة ٦١٢ ميلادي باسم مار يعقوب وهذا مؤشر الى ان بداية الأبرشية النصرانية في نصيبين كان في القرن الثالث ميلادي.

كما ان حدود الارشية الدينية التابعة لنصيبين تمتد من الموصل في العراق الى بلاد ارمينية، وان الأساقفة المنتشرين في المناطق والبلدان يتبعون مطران المدينة وهو السلطة الدينية العليا في البلاد المشرقية، ويشير المؤرخ الديني اديشير الى ان الحدود والمراعيث المرتبطة بالمطرابوليطية هي بيث زبداي وبيث مكسابي وبيث رحيماي وآذورمية وقردو وارزون واوستان ارزون وقوبا ارزون واخلاط ودنيسر ودارا وسنجار وكانوش وبلد وكفر زمار وحصن كيبا ورشعينا وحران وميافرقين وطبياثا وماردين، ومؤشر ذلك امتداد المسيحية التابعة لمدينة نصيبين الى البلاد الأرمينية، وبلغت ذروة مجدها الديني في القرن السادس عشر ميلادي وكان بطريركها الأكبر عبد يشوع مارون في سنة ١٥٢٦، وعين يعقوب مطرانا لنصيبين وماردين وبقيت في هذا المجد الكنسي الى حين خرابها سنة ١٥٦٦، وانتقال كهنتها الى كنيسة كركوك في العراق سنة ١٧٨٩ وعلى امتداد اكثر من ١٦ قرنا كانت النصرانية واتباعها المسيحيين في تلك البلاد ولهم دورهم التاريخي وامتداداهم الجغرافي مؤثرين حضاريا، وقبيل الحرب العالمية الأولى لم يبق في نصيبين الا بضع عشرات من النصارى واتباع الكنيسة يترأس وجودهم الكاهن حنا شوحا لحين مقتله وفرار من بقي منهم.

من المظاهر العلمية الدينية في المدينة:

١- مجمع الكنيسة المشرقية العلمي الديني في مار اسحق ساليق الذي انعقد سنة ٤١٠ ميلادي بحضور ماروثا الميافرقيني، لتحديد المقاطعات الكنسية والكراسي التابعة لكنيسة نصيبين مثل كرسي الجاثليق وابرشية عيلام دلالة الى البعد الديني والثقافي

والعلمي للمدينة، وقيمة كاهنها الأكبر حضوره تدشين كنيسة القيامة في اورشليم القدس زمن الملك قسطنطين الروماني.

٢- مجمع داديشوع المنعقد سنة ٤٢٤ ميلادي برئاسة كاهن نصيبين هوشع وتضمن المجمع دعوة الى شحذ الهمم لمواجهة الطامعين وغارات الاراذل في الجبال المحيطة وتوحيد الكلمة ونشر المعرفة.

٣- مكانة الكاهن النصيبي الأكبر الجاثليق ايشوعياب الجدالي الثاني لدى ابنة ملك الفرس كسرى الثاني وقد كلفته الملكة بوران بالسفر معها الى حلب سنة ٦٣٣ ميلادي لاجراء مفاوضات مع امبراطور الروم هرقل وتوقيع معاهدة صلح بين الفرس والروم.

٤- مجمع طيمثاوس الثاني الذي انعقد سنة ١٣١٨ ميلادي برئاسة الكاهن الصوباوي وكتبت فيه تاريخ ودور الكنيسة العلمي والديني واحكام وقوانين الكنيسة.

وتشير الباحثة الى ان دور رجالات كنيسة نصيبين لم يكن يقتصر على الارشاد والتبشير الديني بقدر ما كان له ارتباط بالجانب العلمي في نشر الثقافة والمعرفة بين الناس سواء من اتباع الكنيسة او آخرين، ومن اهم رجالات نصيبين العلميين والدينيين:

أ-مار يعقوب النصيبيني في القرن الرابع ميلادي واشتهر ببنائه كنيسة نصيبين ودير الفلك على جبل جودي وفتح مدرسة نصيبين الشهيرة وقبره في كنيسته.

ب-برصوما من القرن الخامس الميلادي واستمر في الاهتمام بالمدرسة في نصيبين وكان مقربا من ملك الفرس فيروز وله اعمال أدبية كثيرة درست في مدرسة المدينة.

ج-بولس النصيبي من القرن السادس وهو معلم في مدرسة نصيبين ومدرس لاهوتي وله كتاب ضوابط الشريعة الإلهية ودليات مع القيصر ودفن في نصيبين.

د-روزبيهان وقبريانوس من كهنة نصيبين في القرن الثامن الميلادي ومذكور دورهما في الاهتمام بالعلم والمعرفة ونشر الثقافة الدينية المسيحية وللاخير كتاب الحبريات وتنظيم الطقوس.

ه-سركيس الأول من القرن التاسع الميلادي وذكر انه أصلح الكنيسة ورمم الاديرة وأظهر دور المدرسة في التعليم.

و-برشينايا من القرن العاشر كتب في النحو والأحكام والتاريخ الاستقرائي.

ز-يشوع العارض الموصلي من القرن الحادي عشر واشتهر بعلمه وغرزارة معرفته وله براءة أمان من الخليفة العباسي القائم بامر الله، ونشر العلم في ربوع بلاده.

ح-إيليا الحليم من القرن الثاني عشر واشتهر بعلومه في الاداب العربية والارامية وله في الحكمة مقالات وبلاغة وفصاحة وله في النحو وعلوم اللغة العربية مجالس ودروس، وعاصر ابن قيوما الذي اشتهر بفطنته في حفظ النصارى في بلاده.

ط-مكيخا الثاني من القرن الثالث عشر واشتهر بعلمه الواسع وحاول مواجهة المغول قبل وفاته سنة ١٢٩٠ميلادي.

ي-الصوباوي بن بريخا المتوفي في القرن الرابع عشر وهو من اغزر الكتاب بين القرنين الثالث والرابع عشر وألّف كتب منها الجوهرة وفهرس المؤلفين وفردوس عدن وتنظيم الاحكام ونوما قانون.

وقد تميز الكثير من احبار النصارى بالعلم والمعرفة والثقافة ونشروها في البلاد وعملوا في التأليف والتعليم للفضائل واللغة والتاريخ وخلاص النفوس بالاخلاق والفلسفة اليونانية والروحية

في أديرة ومدارس نصيبين الى حين خرابها على أيدي المغول في سنة ١٢٢٢، ولعل اهم هذه المدارس والاديرة تذكر الباحثة:

١-دير مار إبراهيم الكشكري الكبير.

٢-ديردير مار أوجين المصري.

٣-دير مار يعقوب الحبيس.

٤-دير مار يوجنا نحلايا.

وتعدّ هذه الاديرة مدارس علمية ودينية في ذاتها.

١-أما انتشار المدارس فقد بدأ بعهد يعقوب النصيبيني سنة ٣٢٥ ميلادي فأسس مدرسة نصيبين الأولى هي اول مدرسة في تلك البلاد وكان معلما فيها ويعاونه في التعليم مار افرام(اديشير، ج٢، ٤١)، وافتتحت اول كلية جامعة لاهوتية في المدينة يدرس فيها علم الالهيات(المصدر نفسه، ٥٩)، وهدف المدرسة تثقيف وتعليم المواطنين من المسيحيين بالدرجة الأولى وبعد ان تنازلت الإمبراطورية الرومانية عن نصيبين الى الفرس اقفل مدرستها الامبراطور الفارسي شابور الثاني فانتقلت المدرسة الى الرها وسميت مدرسة الفرس وفيها تلاميذ ومعلمين كثر واستمرت الى سنة ٣٧٣ ميلادي، وبعد وفاة مار افرام استلم التعليم قيورا وكان غزير العلم والمعرفة والادب واستمر فيها الى سنة ٤٣٧ ميلادي، واستمرت المدرسة الى سنة ٤٥٧ ميلادي الا انها تراجعت في أدائها التعليمي وأغلقت أبوابها سنة ٤٩٨ ميلادي.

٢-اما مدرسة نصيبين الثانية فقد أسسها الكاهن برصوما ونرساي في سنة ٤٩٩ ميلادي واجتمع فيها عدد كبير من التلاميذ يعاونه شمعون الجرمقاني ولقب نرساي بالمعلم الكبير لادبه وعلمه واستمر في التعليم الى وفاته سنة ٥٠٤ ميلادي(بيفوليفسكايا ، ٩٩)، وكان نرساي شاعرا وأديبا (ابونا البير ، ١٢٧)، وخلفه في التعليم الصوباوي عبد يشوع الى سنة ٥٠٩ ميلادي، ومن ثم استلها إبراهيم ربان وعدد طلابها يزيد عن الالف تلميذ، وقام بتوسيع المدرسة وبناء جديد واستمر الى سنة ٥٦٩ ميلادي وشجع فيها القراءة والكتابة والتأليف حتى ذاع صيتها بين بلاد الفرس والروم واستلم بعده التعليم الارزني الى سنة ٥٨١ ميلادي(ابونا البير ، ١٥٣)، ثم تبعه الصوباوي ابن القرداحي الى سنة ٥٨٢ ومن بعده استلم التعليم الحديابي الى سنة ٥٩٦ ميلادي حيث تراجعت في أدائها وأقفلت ابوابها(اديشير، ج٢، ٢٦٠).

٣-في سنة ٦١٠ ميلادي أسس إيليا المطران مدرسة نصيبين الثالثة في بيث سهدي وبجانبها مدرسة نصيبين الجامعة واستمر تفي التعليم الى سنة ٦٦٠ ميلادي ولها نتاجاتها الأدبية والتاريخية وتخرج منها كبار رجال النصارى(اديشير، ج٢، ٢٨٧).

لم يكن انشاء المدارس امرا ارتجاليا بالرغم من الخبرات المحدودة في تلك الحقبات من الزمن فقد عمد المؤسسون على تطوير الإدارة ووضعوا جملة من الأنظمة والقوانين في الالتزام بالحضور والدوام واللباس وقص الشعر والوظيفة فكانت وظيفة الربان والمفسر والمقرئ والمهجئ والملحن والمؤلف والوكيل والكاتب والمفتش ومدير المكتبة ورئيس البيت ورئيس المدرسة والتلاميذ وكل له دوره في العلمية التعليمية التعلمية(المصدر نفسه، ج٢، ٢٧٧)، ويتم تمويل المدرسة من الهدايا والهبات المالية والعينية والعطايا مما دفع بعض المؤسسين في وفرة المال الى بناء مستوصف ومشفى صغير بجانب المدرسة، كما عمل مؤسس كل مدرسة في التجارة لتمويل النفقات وزيادة الإيرادات وبناء دار للضيافة.

ومن النظم الأخرى في التعليم البرنامج الدراسي بدءا من شروق الشمس في غرف الدراسة الى المساء الا في ساعات الطعام ومن ثم العودة الى المبيت ليلا، وامتنع التلاميذ من ريادة المدينة والاختلاط بالسكان والمشاركة في الافراح ويسمح للجميع الزاما حضور الوفيات والمشاركة في الصلاة وقطف الزيتون والحصاد وكان التعليم مجانيا(حبي يوسف الاب، كنيسة المشرق، ج١، ٢٨٤)، وتميزت هذه المدارس بدقة قوانينها وانضباط العاملين فيها والتزام تلاميذها ويطرد المخالف مهما كان شأنه، وأكثر الدراسات فيها ذات طابع لاهوتي في التفسير والتقليد والمنطق والفلسفة والاسفار والعهد القديم والجديد والامثال والكتابة والقراءة والهجاء والموسيقى، والمزامير وكتب الأنبياء والتراتيل المقدسة والجغرافيا والبلاغة والعلوم الطبيعية والقواعد والرياضيات والالحان والموسيقى والخطابة والتاريخ والتصوف الروحي والجدل والهندسة والتقويم والسيرة والاستنساخ(بيفوليفسكايا ، ٢١٠)، وكان نظام التعليم في فصلين بالسنة الدراسية، واعتمدت كل المدارس النظام الإداري الموحد في مناهجها وفصولها وضوابطها ليكون تخرج التلميذ بمستوى من المعرفة والعلم.

رابعا: الاتجاه التعليمي لدى السريان المسيحيين: ان الحركة الرهبانية التي قام بها إبراهيم الكشكري في نصيبين انتجب علما ومعرفة لدى طلاب جامعتها ورواد كنيستها وتوزعوا في الأقاليم لنشر الدين النصراني والعلوم المختلفة في جند يشابور، الا ان سيطرة المسلمين على المدينة جعلت الأحوال تتقلب الى الأسوء، وحين ولي امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان، ارسل الى واليه على الموصل كتابا يخصه بالعناية بالنصارى من أهلها ومراعاة ذممهم من قبل الولاة وقادة الجند وعدم التعرض لهم، كما ان الملكة بوران ملكة بلاد فارس بعد اعتلائها العرش أرسلت الى اشوعياب بطريرك نصارى نصيبين والمدائن وكان لهذا الأثر لدى ملك الروم(ابن بطوطة، ج١، ٤١٢)،كما اشتهر من علمائها وخريجي مدرستها الجامعة الطبيب أبو سعيد منصور بن عيسى النصيبيني المتوفي سنة ١٠٦٨ ميلادي وقد اشتهر بعمله الطبي وعلاجها الناس من مختلف الفئات والتبعيات، وله مؤلفات في امراض العين ومداواتها وتأثر بكتابات حنين ابن اسحق في طب العين، ومن اعلامها أيضا الشاعر العباسي أبو الفرج الببغاء، ولم يكن حال نصيبين في زمن الامويين مثله في زمن العباسيين حيث عادت الى الازدهار ومن زوارها لاهميتها الشريف الادريسي وله كتابات عنها في نزهة المشتاق في اختراق الافاق(الشريف الادريسي، ٦٦٢).

ومن تلاميذ جامعة نصيبين افرايم سويرس كورش السرياني، واشتد ساعد الجامعة مع دخول الروم النصرانية ومار افرام السرياني ومار آبا الأول الذي أسس بدوره مدرسة سلوقية قرب طيفسون، ولها مثل سابقاتها نظما إدارية وتعليمية صارمة ومحكمة دلالة الى ان الإباء المؤسسين لم يكونوا ليتهاونوا في التعليم والدراسة لتلامذتهم، إضافة الى وجود مشفى طبي للاعتناء بالتلاميذ والمرضى من روادها وهذا دلالة الى ان الاتجاه الكنسي هو خدمة المجتمع وليس الاقتصار على المجمع اللاهوتي فقط، وانشأوا في كل مدرسة مكتبة وهذا مؤشر من القرون الوسطى دلالة الى الحكمة الكبيرة لدى ارباب هذه المجمعات الدينية العلمية، واشتغلوا بتعليم الخط باللغة العربية والسريانية ونسخوا كثيرا من الكتب وبعضهم كان من المحظوظين في بيت الحكمة العباسي اما مترجما او ناسخا للمخطوطات مثل افرام اقاسيوس مطران آمد لاحقا، وبعد سقوط المدينة بايدي الفرس سنة ٣٦٣ ميلادي توقف التعليم في جامعة نصيبين وفر مدرسها الأول افرام السرياني الى مدينة الرها وأسس مدرسة فيها سميت مدرسة الرها العليا

واعتمدت النظم العلمية في جامعة نصيبين الاساسية كما سبق وأشارت الباحثة الى ذلك واستمرت لاكثر من قرن من الزمن في التعليم ومن روادها اشتهر نرساي وبرصوما وهما لاحقا من كبار أساتذة المشرق الإسلامي وعلى يد نرساي الشاعر أغلقت المدرسة لاعتماده أفكارا أكثر مرونة واعتبرت مخالفة للنظم الكنسية، ودلالة ذلك ان نرساي عندما قرأ في الإسلام الكثير من الأمور وجد ان تعاليم الكنسية قد حرفت من مسارها الصحيح فاتجه الى عملية اصلاح فكري قوبلت بالرفض واتهم بالانحراف عن التعاليم الكنسية.

حاول برصوما احد تلامذتها إعادة احياء المدرسة في سنة ٤٩١ ميلادي وتحولت الى جامعة نصيبين الثانية وطور من مناهجها الدراسية ووضع قوانين اكثر مرونة والحق بها مستشفى للعناية بالتلامذة والمرضى، وتجاوز عدد تلامذتها في عهد نرساي وبرصوما الى اكثر من ٨٠٠ طالب وتلميذ في مختلف المراحل الدراسية وكانت مدة الدراسة فيها ٣ الى ٤ سنوات وتعتبر الجامعة رائدة المشرق العلمي ومركزا للنهضة الفكرية(فروخ، ١٩٨١، ٦١٠)، ولكنها لم تستطع التحرر من الفلسفة اللاهوتية المنحرفة عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام وانما كان الاتجاه لخدمة الكنيسة بأشخاصها وليس بخدمة الانسان في مجتمع الإنسانية، واشتغل روادها بترجمة الكتب من اليونانية الى السريانية والعربية، وتعرضت محاولات نرساي الإصلاحية في الفكر النصراني الى الانتقاد والتكفير من المجمع المسيحي العام في سنة ٥٨٥ ميلادي، واعتبرت قائده واشعاره التي نظمها منحرفة عن التعاليم الكنسية، وبعد وفاة مديرها نرساي اختير هوزايا في إدارة الجامعة وهو من ايران الاهواز من منطقة ميشان وكان ضليعا باللغة السريانية ثم تولاها من بعده إبراهيم واستمرت الى القرن السابع ميلادي في عطائها العلمي.

لم يكن انتقال العلوم والمعارف من اللغة السريانية الى اللغة العربية بأمر سهل على العاملين في جامعة نصيبين، وسبب للجامعة انهيارا بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الا انها استمرت بتخريج العلماء والشعراء والفلاسفة من أمثال إيليا برشينايا وايشوبر قوزباي وإبراهيم ربان ولهم مؤلفات كثيرة ، ونافست جامعة نصيبين جامعة جند شابور واطلق عليها اسم جامعة أم العلوم ومدينة المعارف.

ولقد كانت هاتان الجامعتان منارة علمية وصرحا فكريا لامتناهيا في زمانهما الحضاري، واخذ الفرس الإيرانيون الكثير من علومهما ودرسوا ابونانية والفهلوية والعربية والسريانية فيهما(فروخ، ١٩٨١، ٦١٢)

ومن الاثار العلمية الدينية التي ما زالت في مدينة نصيبين تذكر الباحثة:

أ-مدرسة كنيسة مار يعقوب النصيبيني التي أسست على انقاض معبد انطياخوس سنة ٣١٣ ميلادي وفيها قبر مؤسسها وجرى ترميمها سنة ١٥٦٢ ميلادي واستولى عليها السريان الأرثوذكس من الكلدانيين في منتصف القرن التاسع عشر بأمر من حاكم ديار بكر سنة ١٨٦٥ ميلادي(سكماني، ٣١) بالرغم من شكواهم الى مطران آمد في ايران مار بطرس دينتيلي(حداد، ج١، ٤٧).

ب-مدرسة دير القديسة فبرونيا التي دفنت في الدير بعد مقتلها، وقد تحول اليوم الى جامع الامام زين العابدين.

ج-مدرسة دير مار أوجين المشيد في القرن الرابع الميلادي في جبل إيزلا المشرف على المدينة وفيه كنيسة كبيرة ومكان للتامل والعبادة والصلاة، وهو تحت اشراف السريان الأرثوذكس ودمره الجيش التركي سنة ١٩٢٥.

د-مدرسة دير مار إبراهيم الكشكري في بيث جوجل بني في القرن السادس وله باع طويل في الحياة العلمية والفكرية وهو باشراف السريان الأرثوذكس(عزيز ، ١٩٧٧، ١٧).
ه-مدرسة دير يوحنا الطائي وفيه مدفنه وهو باشراف السريان الأرثوذكس(المصدر نفسه، ٢٢).
و-مجمع بيث سهدي بني في النصف الأول من القرن السادس ميلادي ولا يوجد منه سوى آثار حجارة، وعلى انقاضه بني جامع بصمة يد علي(سكماني شماس، رحلة السكماني، ٤٤) .
ومن ذلك تستنتج الباحثة ان الاتجاه العام لاتباع الكنيسة السريانية في نصيبين كان اتجاها دعويا لنشر الدين النصراني الا انهم اهتموا بالعلوم والمعارف واللغة العربية، وبالرغم من تبدل الأحوال الا انهم حافظوا على النظام التعليمي واستطاعوا استيعاب كم كبير من الطلاب والتلاميذ في مدارسهم واسسوا نظاما تعليميا من حيث الضبط الإداري وتوزيع المهام والمناهج والتحصيل العلمي والاختصاصات واستحقوا لاجل ذلك ان تكون مدارسهم جامعات وكليات في القرون الوسطى، كما يستدل من ذلك العدد الكبير من العلماء ورجال الدين الكبار الذين تقلدوا مراكز سلطوي كبيرة جدا ومناصب في التراتبية الدينية لدى النصارى وهم من نصيبين.

المطلب الثالث: في النتائج

أولا: الاستنتاجات: تستنتج الباحثة ما يلي:

١- ان مدينة نصيبين لها دور تاريخي جغرافي كبير جدا ترك أثره في الحضارة المشرقية من القرون الوسطى لغاية الحرب العالمية الأولى، ولم يكن التدمير الممنهج الذي اعتمده الجيش التركي بعد الحرب ليمحو تلك الآثار المشرقة في دور المدينة على المستويات العلمية والدينية.
٢- تخرج من مدارس وجامعات نصيبين العديد من الرجالات الذين ذكرهم التاريخ على مختلف المستويات.
٣- كانت المدينة محط انظار الامبراطوريات المختلفة نتيجة موقعها الجغرافي الاستراتيجي اذ كانت تربط طرق المواصلات بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب.
٤- كان للمدينة موقعها الاستراتيجي في الصراعات والحروب وحاول الرومانيون والفرس السيطرة عليها عدة مرات وتميز أهلها بالشجاعة والفروسية مما تسبب في دمار كبير لها، بالرغم من محاولات إعادة بنائها بعد كل حرب.
٥- حاول علماؤها الذين تخرجوا من مدارسها وجامعاتها نشر العلوم الدينية والعلوم المدنية المختلفة في بلاد الروم وايرن وتركوا بصماتهم الواضحة في اثارهم العلمية في الترجمة والطب والهندسة.
٦- تميزت المدينة بموقعها الجغرافي التاريخي لا سيما في انتاجها لانواع من الثمار والفاكهة نتيجة كثرة مياهها وخصوبة أراضيها الزراعية واعتبرها الكثيرون انها من جنات الله في الأرض.
٧- تتجلى أهمية الدينة من الناحية الجغرافية والتاريخية لكثرة من زارها من الرحالة المسلمون والغربيون والفرس، وذكرت في المعاجم والموسوعات العلمية لاكابر العلماء في اللغة والعلوم.
٨- تعتبر نصيبين مدينة قدوة في الإصرار على التعليم منذ القرون الوسطى وإرادة كهنتها لم تستسلم امام الضغوطات والحروب التي دمرتها من فترة الى أخرى.

ثانيا: التوصيات: وفقا لنتائج البحث توصي الباحثة بما يلي:

١-اجراء دراسات مقارنة بين أحوال تلك المدينة على المستوى الجغرافي التاريخي ومدن أخرى في بلاد ايران شرقا والروم غربا.

٢-اجراء دراسات ذات بعد جغرافي وتاريخي لمدن أخرى تبين أثرها وقيمتها التاريخية الجغرافية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١.Bryce, Trvor. The Peoples and Placesof Ancient Asia. London: Routledge.2009.

١. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار العلم للمايين، بيروت، ١٩٨٨، ج١،
٢. ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار بيروت للنشر، لبنان، ٢٠٠٠،
٣. ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٤.
٤. ابن زكريا احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتب الاعلام الإسلامي، مصر، ٢٠٠١، ج٥،
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين، لسان العرب، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٩٤، ج٦،
٦. ابونا البير، ادب اللغة الارامية، دار صادر ،بيروت، ١٩٧٠،
٧. اديشير، تاريخ كلدو وآثور، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ٢٠٢١ ج٢،(نقلا عن طبعة ١٩١٢).
٨. البغدادي صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٧، ج٣،
٩. البكري أبو عبيد ،معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦،ج٤،
١٠. بيفوليفسكايا نينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، المكتبة السريانية، المانيا الاتحادية، ١٩٩٣،
١١. بيكو لفسكايا، نينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد. دمشق.١٩٩١،
١٢. الجوهري إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣،
١٣. حداد بطرس، رسائل البطريرك مار يوسف اودو، مكتبة البطريريكية الكلدانية، الموصل، ج١،
١٤. الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ج٥،
١٥. الحموي محمد ، ١٩٨٨، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، ١٩٨٧، ج٥،
١٦. حميد الله محمد، المعالم الاثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤،

١٧. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار التعارف، بيروت، ج٢، ٢٠٠٤،
١٨. ساكو، المطران لويس. بغداد، مجلة نجم المشرق، العدد ٦٢ ، ٢٠١٠،
١٩. سكماني شماس، رحلة السكماني، الدار السريانية، دمشق، ١٩٨١،
٢٠. السبعاوي حنان عبد الخالق، مدينة نصيبين في العصر العباسي دراسة سياسية، دار ابن الاثير، ٢٠٢٣،
٢١. سليمان ماري وابن متى، المجدل واخبار بطاركة كرسي المشرق، مكتبة المثنى، بغداد، ٢٠٢٢،
٢٢. الشرتوني سعيد الخوري، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، دار الاسوة، ١٤١٦ه، ج٥،
٢٣. الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، دار عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٨، ج٦،
٢٤. الشماس نوري مندو ايشوع، نصيبين في تاريخ ميزوبوتاميا، منشور بلدية نصيبين، تركيا، ٢٠١٠،
٢٥. الطبرسي الفضل ابن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، قم، ٢٠٠٦، ج١٠،
٢٦. عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية. طرابلس: دار جروس برس،١٩٩١ ،
٢٧. عزيز بطرس، تقويم الكنيسة النسطورية الكلدانية، المطبعة الملدانية، بيروت، ١٩٧٧،
٢٨. العزيزي الحسن، المسالك والممالك، الناشرون، لبنان، ٢٠٠٦،
٢٩. فروخ، عمر، تاريخ الادب العربي، العصر العباسي، دار العلم للملايين، ١٩٨١،
٣٠. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠،
٣١. فييه جان، ابرشية نصيبين المشرقية وتوابعها، مكتبة نجم المشرق، حلب، ٢٠١٣،
٣٢. القزويني زكريا، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧،
٣٣. قسطنطين شمعون، مدينة نصيبين السريانية عبر التاريخ، دار المنتدى السرياني، بيروت، ٢٠٠٥،
٣٤. القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، دار الحكمة العالية، القاهرة، ١٩٧٧،
٣٥. المدني احمد بن معصوم، الطراز الأول من لغة العرب المعول، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، قم، ١٤١٥ه ق، ج٣،
٣٦. معلوف لويس، المنجد في الاعلام، دار المشرق، سوريا، ٢٠٠٢،
٣٧. المقدسي عبد الغني، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩،
٣٨. موسوعة الإسلام باللغة الإنكليزية، ٢٠٠٠، ج٧،
٣٩. مؤلف تركي، المعلوم من تاريخ نصيبين، منشورات بلدية نصيبين، ٢٠٠١،
٤٠. مؤلف فارسي مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، مؤسسة يوسف الهادي، مصر، ١٩٨٧،

٤١. يوسف حبي الاب، كنيسة المشرق، منشورات الكنيسة الكلدانية، العراق، الموصل، ٢٠١٠، ج١،